

« فيه شفاء للناس »

قرآن كريم

الصيدلة علم وفن وإنسانية

من هو الصيدلي ؟

يبدو أن معرفة الكثيرين بصاحب هذه المهنة لا تزيد عن شرائهم الأسبيرين أو الفيتامينات أو العقاقير التي يصنفها الطبيب المعالج من حبوب أو حقن أو شراب ، وما قد يجرى من حديث بين المريض والصيدلي عن طريقة تناول الدواء .

لم تكن الصيدليات في عهدها الأولى سوى حوانيت تباع أنواعاً كثيرة من الأعشاب الطبية أو أوراقها وزهورها والبذور والثمار والحدور في صورتها الطبيعية أو على هيئة مسحوق أو مغلي . كالراوند والحنظل والصبر والشيح وخشب الكينا والقرفة ومسحوق العرقسوس و (البلادونا) وثمار الحشخاش وبذوره والحبهان والشمر والنعناع والينسون ، وبعض الأملاح مثل سلفات الصودا والمائيزيا والملح الإنجليزي وغيرها مما كانوا يعترفون بفوائده الطبية .

وازداد عدد الأعشاب واستخرجت منها الخلاصات بالغلي والتركيز ، أو بواسطة الكحول . وأضيفت أملاح معدنية جديدة كأملح الحديد والبروموت والزنبق والكبريت والبروم واليود والفسفور والزرنيخ . وتحولت محال العطارة إلى صيدليات بعد أن أصبحت تقوم بتحضير الأدوية من أشربة وحبوب ومساحيق ومراهم . حسب مواصفات متفق عليها تحولت فيما بعد بما أدخل عليها من تعديلات علمية إلى دساتير طبية مكتوبة وطرق

معبئة للتحضير ، ومعايير تقيس وتزن العناصر الداخلة في تلك الأدوية بعناية ودقة . وقفزت صناعة الدواء منذ نصف قرن تقريباً من أعشاب وخلاصاتها وأملاح معدنية بسيطة إلى مركبات كياوية عضوية بفضل الكشوف التي قامت بها معامل الكيمياء عندما بدأت تنمو وتزدهر وأخذت تضم إلى مصانعها معامل ومعاهد للأبحاث يعمل فيها أساتذة جامعيون وأطباء وصيادلة وكماويون يستنبطون كل يوم أدوية جديدة . فأخرجوا للعالم الأنسولين والطعوم والأمصال والسلفا والبتسولين وأنواع (المايسين) والهورمونات والفيتامينات وأولفاً من المركبات الكياوية تستخرج من عناصرها الطبيعية . ثم أصبح في الإمكان تحضير عدد كبير منها بطرق كياوية تركيبية وبكميات ضخمة فانخفضت أثمانها إلى حد أنها أصبحت في متناول الجميع .

وكانت تلك المستحضرات الطبية الجديدة علاجاً سحرياً ناجعاً لأمراض وحميات كثيرة كانت تؤدي بحياة الملايين كل عام . لقد قدمت الصيدلة للمجتمع الإنساني خدمات عظيمة قام بها صيادلة وكماويون من بينهم أسماء خلدها التاريخ وأخرى لحنود مجهولين تعترف البشرية بكشوفهم وجهودهم وتضحياتهم .

ومنذ بدء الخليفة عرف الإنسان الصيدلة والعلاج بالعقاقير وآمن بقدرتها على شفاؤه من أمراضه . وإن كان قد خلط في بعض الأحيان بين الشفاء بواسطة الدواء والسحر والآلة . ثم تقدم إلى الأمام خطوات ، ومرت ألوف الأعوام وأصبح في متناول يده طرق واضحة للعلاج وأدوية جربها المرضى .

وكلما ازدادت المدنية تقدماً بفضل الكشوف العلمية وتطور الصناعة عامة ، ومن بينها صناعة الأدوية ، ازداد عدد تلك المستحضرات الطبية ذات الفائدة المجربة ووضحت مهمة الصيدلي كرجل توكل إليه عملية تحضير

الأدوية، وأصبح لكل من الطبيب والصيدلي عمله الفني الذي يختص به حتى كان ازدهار الحضارة العربية وظهر الصيدلة لأول مرة في التاريخ . وأنشئت الصيدليات ووضعت دساتير وقوانين خاصة بها . وقامت الدولة بالتنشيط عايتها ومراقبتها فأصبح للصيدنى مهنته ذات المسؤولية الخطيرة وصاحبها موضع ثقة الدولة والشعب .

واشتغل الصيدلى حينذاك بتحضير العقاقير من الأعشاب وأملاح المعادن . وأحب مهنته وشغف بالعلم والبحث وأخذ يجرى التجارب على



الصيدلىون فى عملهم

المواد الكيماوية والخلاصات المتبلمفة باحثاً عن إكسير الحياة وحجر الفلاسفة ، تلك التي كان لها أعظم الفضل فيما وصلت إليه الكيمياء في العصر الحديث من كشوف رائعة ومعجزات لم يكن يحلم بها الأجداد .

كانت ألغازاً غامضة وأسراراً مغلقة أمام ذلك الكيماوي الذي أطلقوا عليه اسم السيامي Alchemiste يحاول بواسطة أجهزته الصغيرة التي يعدها بنفسه أن يفتح مغاليق أسرارها ويفيد منها لتحقيق أحلامه بالحصول على الإكسير الذي يطيل الحياة ، وحجر الفلاسفة ليحول معادن ، كالنحاس إلى ذهب ، ودفعتهم آمالهم وأحلامهم إلى إجراء البحوث والتجارب في حوانيتهم ، وجعلوا ركناً منها كعامل يعدون فيها أجهزتهم ويجرون تجاربهم .

إن قصة السياميين أشبه بقصة ذلك الرجل الذي أوصى أولاده قبل وفاته بالبحث عن كنز من الذهب مدفون تحت أرض المزرعة . . . وحفر أبناءه كل أجزاء الحقل إلى أعماق بعيدة ولكنهم لم يعثروا على أي أثر للذهب ، وعندما عادوا إلى زراعتها من جديد بعد المجهود الذي بذلوه في قلب تربتها عادت عليهم بمحاصيل وافرة وأدركوا ما كان يقصده أبوهم .

وكذلك أيضاً كانت الثمار الجليلة الفائدة التي جناها رجال الكيمياء الأوائل من جهودهم وتجاربهم ودراساتهم وبحوثهم في سبيل الحصول على الذهب ، فكانت خيراً للإنسانية أعظم قدراً من الذهب .

بدأت تلك العمليات الكيماوية الساذجة أيام ازدهار العلوم في الإسكندرية في مصر القديمة ، ثم عند العرب الذين نقلوها معهم إلى أوروبا ، وازداد عدد أولئك الكيماويين الأوائل خلال عدة قرون ، يعدون العقاقير لشفاء المرضى . ويبحثون عن خواصها السحرية حتى يتاح لهم تحضير إكسير الحياة أملاً في إعادة الشباب إلى الشيوخ . بل طمعوا في أن

يمنحهم ذلك الإكسير حياة الخلود . ثم تحويل المعادن الخسيسة إلى معادن نبيلة .

ولكنهم بالرغم من تنقيبهم وتجار بهم لم يصابوا إلى إكسير الحياة ولا إلى حجر الفلاسفة . ولكن ما بدأوا من جهود لم تضع سدى بل هي الأساس لكيمياء اليوم ، والأدوية التي تزخر بها الصيدليات ومعامل الكيمياء ليست فقط للأغراض الطبية ، بل في جميع مظاهر تقدم الأجيال الحاضرة في الزراعة والصناعة .

لقد كان لم الفضل في الكشف عن حمض الكبريتيك والنريك وماء الذهب والأنتيمون والزرنيخ والزنك والبزموت والفلوسفور والنشادر والأملاح المعدنية الهامة ، والكحول والأثير وملح البارود وأجهزة الترشيح والتقطير والتصعيد والترسيب والباورة والتنقية وغيرها ما زالت تستعمل حتى اليوم .

ألم تتحقق آمالم بعد مئات الأعوام ؟! ... وحولت الطاقة الذرية المعادن بعضها إلى البعض الآخر . وأضحى في مقدور العلم أن يحول المعادن الخسيسة إلى معادن نبيلة ، وإن كانت حتى يومنا هذا باهظة التكاليف ، فسوف يأتي يوم يتسنى ذلك بنفقات اقتصادية وطرق عملية .

لم تكن العقبات لتثنيهم عن متابعة عملهم وبحوثهم بالرغم مما اتهموا به من سحر وكذب وغش . وليس معنى ذلك إنكار وجود فئة من بينهم اتخذوا الغش والخداع وسيلة للكسب . ألا يوجد مع الذهب والفضة وغيرهما من المعادن الثمينة من الأقدار والأوساخ ما يسمى بالخبث لا يلبث أن ينفصل عند التنقية .

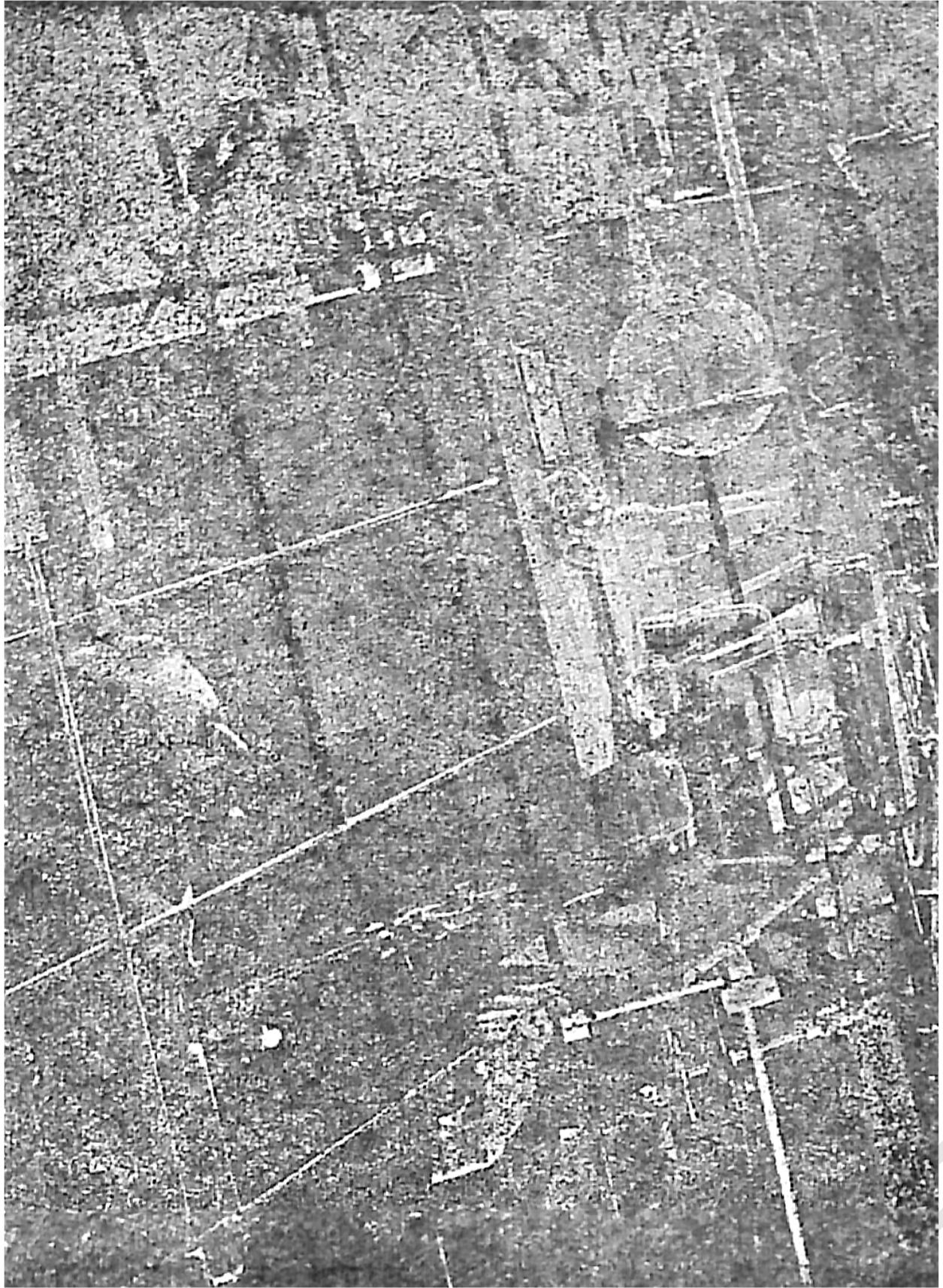
كان الكهاويون الأوائل يدرسون ويبحثون من أجل لذة العلم وخير الإنسانية ، يعملون أحياناً في جو من القلق والاضطراب والتهديد بالعقاب

والموت أحياناً . فحنين بن إسحاق الذى أراد الخليفة اختبار أمانته ، فأوعز إليه بوضع السم فى طعام أحد أعدائه فرفض وبقي فى السجن عاماً كاملاً . وصمم على الرفض مرة ثانية بعد أن دعاه الخليفة من السجن - حتى أو أدى ذلك إلى الموت . . ولكن الخليفة كان يريد اختبار صدق أمانته وكافأه أجزل المكافأة .

وروجر بيكون الذى رفض أن ينكر كشوفه ، فقضى بقية عمره سجيناً . وترك ابن سينا وجابر بن حيان والرازي والبيروني وابن الهيثم وغيرهم ، مئات الكتب والبحوث فى الطب والصيدلة ومختلف ألوان العلوم والفنون والآداب . ظل بعضها يدرس فى جامعات أوروبا حتى أوائل القرن السابع عشر بالرغم مما كان يتخال حياتهم أحياناً من سجن ونفى وتشريد أو تهديد بالموت .

ومن أعظم من جاء بعدهم (ياراسلوس) فى القرن السابع عشر ، وبالرغم من أنه أحرق مؤلفات من سبقه من الأطباء والكماويين من أمثال أبقراط وجالينوس وابن سينا وجابر بن حيان وغيرهم من الخالدين ، إلا أنه أسس الكيمياء الحديثة التى تقوم على إجراء التجارب العملية . وفى أواسط القرن الثامن عشر ظهر فجر جديد ، وأخذت علوم الكيمياء والصيدلة القائمة على الدراسة والبحث العلمى تحتل المكان اللائق بها فى عالم العلوم الحديث .

إن قصة الصيدلة منذ العصور الأولى للتاريخ ليست قصة العقاقير فحسب . بل هى صفحة من تاريخ كفاح الطب والصيدلة ضد المرض كفاحاً إنسانياً عظيماً جديراً بأن ننتبهه خلال العصور المتعاقبة منذ كان الطبيب والصيدلى رجلاً واحداً . بل منذ كان المريض هو الصيدلى والطبيب الذى يجرب بنفسه الأعشاب المختلفة . ثم تطور المجتمع وارتباطه الوثيق بالطب والصيدلة حتى وصل إلى الصورة التى يرى عليها اليوم .



أحد معامل البحوث الكيماوية للدواء

والصيدلة كغيرها من المهن تتجه إلى الاشتراكية الإنسانية المثلى . بل إنها سارت شوطاً بعيداً في تحقيق اشتراكية العلاج والدواء والوصول إلى نظام شامل للتأمين الصحي لجميع طبقات المجتمع .

والحياة في تطور مستمر . وحياة الصيدلي في ميدان مهنته مغامرة رائعة إذا عرف كيف يعد لها ويدرس ما يتوقعه من تغييرات تلائم ظروف الحياة وتقدمها . وليتوفر للوطن أولئك الذين يعملون من أجل مهنتهم لا يقيسون نخلهم بما وراءه من كسب مادي بل ينظرون إلى أداء خدمات عامة للمجتمع قد لا تعود عليهم بالثروات الضخمة إنما بإرضاء ضباطهم ويشعرون أنهم قبل كل شيء يعملون من أجل خير الإنسانية .

وقد تفتحت أمامهم أوسع الآفاق للنجاح في مهمتهم بما أقيم من مصانع للكيمياويات تمد البلاد بحاجتها من المواد الأساسية اللازمة لتكوين الأدوية والعقاقير الجاهزة وأغذية الأطفال المحفوظة كالألبان المجنفة والتفاح والخزير والجروب . ثم البحث عن الأملاح ونخاماتها المعدنية التي تزخر بها أراضي الجمهورية العربية وجبالها وصحاريها وبحارها والاستغناء بذلك عن استيرادها من الخارج .

وكذلك التوسع في زراعة النباتات الطبية والعطرية والعضور على أنواع جديدة ذات فوائد طبية أكيدة عن طريق إجراء التجارب عليها في معاهد البحوث ومصانع العقاقير وفي المستشفيات .

لقد قامت شركة النصر للأدوية في أبي زعبل . هذه المدينة الدوائية الضخمة التي كانت حلماً طالما راود الأطباء والصيدلة بل أهل الوطن جميعاً فحقق الله آمالهم إذا لم تترك الثورة ميداناً تستفيد منه البلاد دون تحقيقه تحقيقاً كاملاً وعلى أوسع نطاق . وبفضل هذه المصانع ومصانع مؤسسات مصر ومفيس وتنمية الصناعات الكيماوية والإسكندرية (نصار) ودوشن والقاهرة وغيرها ومشاركة بعض المصانع العالمية في إنشاء مصانع لها

في الجمهورية العربية المتحدة تصنع أدويتها ذات الشهرة العالمية محلياً .
 فقاربت البلاد حد الاكتفاء الذاتي . بل أخذت في تصدير جزء من
 منتجاتها إلى بلاد الوطن العربي وإفريقيا
 ومنذ عامين تقريباً أنشئ مركز البحوث الدوائية تركز عليه صناعة
 الأدوية لتخريج أجيال جديدة من الكيماويين والصيدلة الإحصائيين
 في مختلف النواحي الفنية .

إن الصيدلة العرب يذكرون دائماً أنهم أمناء على إرث علمي ضخم
 من أسلافهم الرواد الأول من الكيماويين والصيدلة العرب والمصريين
 القدماء . وإنهم بدورهم سيقومون بتخليد أزهر العصور علماً وتقدماً
 وازدهاراً فيزيدون هذا الإرث بكشوف وأبحاث جديدة تزيد من مجد
 وطنهم العربي الإفريقي الكبير ويكون شعارهم دائماً : « الفخر بمهنة
 الصيدلة تلك التي يزداد قدرها بالعلم والتضحية والعمل والشعور » .